متـــــون
MOUTOUNE

مجلة دورية اكاديمية محكمة تصدرها كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية بجامعة د. الطاهر مولاي سعيدة. الجزائر

المدير الشرفي
أ.د. برزوق بلقومان
مدير جامعة سعيدة

مدير المجلة مسؤول النشر
د. محمد عباس
عميد كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية

رئيس التحرير
د. محمد حفيان

هيئة التحرير:
- د. مجاهد ميمون – د. بكري عبد الحميد – د.وردي إبراهيم
عبـــو عبد القـــادر – أ.برزوق هنـــــاء

الهيئة العلمية:

- أ.د. سعيد يقطين جامعة الرباط
- أ.د. ظريف محمد جامعة الرباط
- أ.د. واسيني لعرج جامعة باريس
- أ.د. عمر الساسي جامعة البليدة
- أ.د. إيفلين عقاد جامعة باريس
- أ.د. مراد يلس جامعة باريس
- أ.د. تحريشي محمد جامعة بشار
- أ.د. سالمي عبد المجيد جامعة الجزائر
- أ.د. بلوحي محمد جامعة بلعباس
- أ.د. مونسي حبيب جامعة بلعباس
- أ.د. سلامي عبد القادر جامعة تلمسان
- د. ودناني بوداود جامعة الأغواط
- د. بوساحة عمر جامعة الجزائر
- د. شارف مزاري جامعة سعيـدة
- د. كرومي لحسن جامعة بشـــار
- د. لزعر مختار جامعة مستغانم

التنفيذ التقني
جامعة سعيدة

قواعد النشر وشروطـــــــــــه

1. تنشر مجلة "**متـون**" الأبحاث والدراسات العلمية المتعلقة بالفكر والأدب والنقد وعلوم اللغة.
2. آن تكون أصلية لم يسبق نشرها .
3. أن تلتزم بالشروط الأكاديمية المتعارف عليها .
4. أن يكون التهميش آلياً أسفل الصفحة وفق الطريقة الكلاسيكية ويتضمن اسم الكاتب، عنوان الكتاب (المترجم)، البلد، دار النشر، الطبعة، سنة الطبع، الصفحة.
   وإن كان مقالا في مجلة فيتضمن: اسم الكاتب، عنوان المقال، اسم المجلة، العدد، الهيئة التي تصدر عنها والبلد. الصفحات: من بداية المقال إلى نهايته.
5. وجوب مراعاة كتابة الواو والفاصلة كالتالي: النقطة والفاصلة لصيقتان بالكلمة التي تسبقهما، والواو لصيقة بالكلمة التي تليها.
6. تثبت قائمة المصادر والمراجع بعد المتن.
7. ترفق الدراسات وجوبا بملخص وبالكلمات المفتاحية.
8. أن لا يتعدى البحث 5000 كلمة في حدود 15 صفحة.
9. أن تقدم عن طريق البريد الالكتروني للمجلة :

moutoune2010dz@yahoo.fr

مقاييس الكتابة وهوامش الصفحات:

العنوان	G	14	Tahoma أبجدهوز
الاسم	G	14	Traditional arabic أبجدهوز
النص	N	14	Arabic transparent أبجدهوز
الإحالات	N	10	Arbic transparent أبجدهوز

الصفحة

المقاييس	21 سم	29.7 سم
الهوامش	B: 5 cm	H: 5 cm
	D: 5 cm	G: 5 cm
Pied de page	4 cm	

تنبيهات هامة:

يرجى من السادة الأساتذة التقيد بهذه القواعـــد و الحرص على مراجعة مقالاتهـــم وتصحيحها لغويا و مطبعيا قبل بعثها، وأن يثبت على صدر المقال البيانات التالية :

الاسم واللقب-الرتبة-الكلية-القسم-الجامعة-البريد الإلكتروني

و كل مقال يخل بهذا المطلب سيرفض.

فهرس المحتويات

كلمة رئيس التحرير 13

دراسات لغويـــــة

أثر التخفيض المصوتـــي في البناء المورفولوجي السليم في اللغـة العربيـة ـ دراسة تفاضلية ـ **أحمد طيبي** 16

وسائل التوليد المصطلحي
طاهر جيلالي 34

حالات التعدد اللغوي في الجزائر. ـ دراسة سوسيولسانية ـ
ميمون مجاهد 47

المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي
بن يحي بعوش 59

الدراسات اللغوية في القرن 14 و18 عشررماس
(م) **قنيش فتيحة** 75

أثر التحليل اللساني في بيان المقاصد القرآنية
ـ أبو حيان التحوي أنموذجا ـ **رويسات محمد** 89

الأنماط اللغوية الدالة على النسب بغير الياء في اللغة العربية **عمر محمد أبو نواس** 99

حركات الإعراب إبانة عن الوظيفة والدلالة
بن يمينة بن يمينة 131

أثر السياق في دلالة زمن الفعل في العربية
حمداد بن عبد الله 151

لسانيات الخطاب بين البنية والوظيفة المنطلقات النظرية والحدود الإجرائية - **الهواري بلقندوز** 167

التخريب الممنهج للغة العربية واستقواء الدوارج من الاحتلال إلى الاضمحلال - **مولاي علي سليماني** 183

دراسات نقدية وأدبية

قصة "ثري الحرب" لأحمد رضا حوحو . مقاربة سيميائية. 201
زحاف الجيلالي

أدب الخيال العلمي بين المصطلح والمقولة الإيديولوجية. 213
سعيدة خلوفي

النقد الجاهلي وأسئلة الشرط التاريخي. نحو تجديد الوعي 227
بالتراث النقدي - **عبد الجبار ربيعي**

شجرة الفكاهة لابن شهيد - دراسة فنية - **مالكي سميرة** 245

الذهنيـــة الجزائرية - **أحمد مولاي** 255

أليغوريا العنوان في رواية :"الشمعة والدهاليز". للطاهر وطار_ 269
انموذجا _**بكري أحمد شكيب**

إشكالية قراءة التراث الشعري عند مصطفى ناصف 279
المنهج- المصطلح- الإجراء - **رشيد بلعيفة**

التداولية المفهوم، المنهج والإجراء - **خديجة بوخشة** 299

دراسات إجتماعية وإنسانية

مقاربات في العمل التطوعي المنظم 317
مسعودي أحمد

تفكيك الأنظمة المعرفية للعقل السيميائي الغربي 329
قراءة في ضوء أطروحة "عبد الوهاب المسيري" - **شراف شناف**

مكانة الجامعة الجزائرية في التنمية المجتمعية 250
عماد بن تروش

مكانة العلوم الدينية في الحياة الفكرية والثقافية في 365
تيهرت الرستمية - **فطيمة مطهري**

التيارات السوسيولوجية لعلاقة الدين بالعنف : الديانات 381
التوحيدية نموذجا - **لغرس سوهيلة**

اللغة ورمزية العرفان في التجربة الصوفية 394
بن ترات جلول

الخرافة والرمز-مقاربة تأويلية مقارنة للخرافة العربية والفرنسية 402
مصطفى بوخال

التحسين الجذري والتحسين المستمر في المنظمات 413
سميـرة لغـويل

سوسيولوجيا القائم بالإعلام في التلفزيون الجزائري 428
بـــداني فـــؤاد

الخطاب الصوفي- بين مفاعلة الآخر وصدمة التلقي بين 447
مفاعلة الآخر وصدمة التلقي - **احمد بوزيان**

التصوف الإسلامي: ماهيته - جذوره – مقابلته 470
بوسيف ليلى

تمثلات المجتمع الجزائري لمرض السرطان مقاربة أنثروبولوجية 479
طبية -دراسة حالة- - **جـمـال حـمـودي**

جماعات الجيرة داخل الأحياء الحضرية - دراسة ميدانية لحي 496
حضرية بولاية وهران (غرب الجمهورية الجزائرية)-
نورية سوالمية

متابعات

الملتقى الدولي الأول حول فلسفة السلم 508

الملتقى الدولي الأول حول الأدب الإصلاحي 512

الملتقى الوطني السابع للنقد الأدبي في الجزائر 514

تاريخ القدس في العصر العثماني في ضوء الوثائق خلال 516
1600-1700م

للباحث إبراهيم ربايعه-عرض وتعليق:د.إدريس جرادات

كلمة رئيس التحرير

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله

لقد كان للدعوة التي وجهناها في العدد السابق من القبول لدى السادة الأساتذة ما مكننا في هذا العدد من إضافة ركن "**متابعات**" الذي عرضنا فيه ثلاث إشكاليات لثلاثة ملتقيات دولية ووطنية من بعض نشاطات الكلية - ما بين عددين - كما نشرنا فيه كذلك عرضا لكتاب حول **تاريخ القدس في العصر العثماني في ضوء الوثائق خلال 1600-1700م** بعث به إلى المجلة الأستاذ **إدريس جرادات** من الأردن.

ولئن كان "أول الغيث قطرة" -كما يقال- فان هذا طل وسيتبعه وابل إن شاء الله.

و لكي لا تلقى تلك المقترحات المتضمنة في الدعوة المصير نفسه الذي آلت إليه قرارات الجامعة العربية **قبل المؤامرة على سوريا**، فإننا سنظل نذكر بها في كل عدد إلى أن نطمئن على ترسيخها في المجلة.

المقترحات: تذكير أول :

أولا: دعوة السادة الأساتذة الباحثين للمساهمة في تقديم قراءات معرفية لمحتوى المجلة.

ثانيا: اعتماد هذه القراءات - بمعية المحتوى المقروء - أرضية لندوات علمية دورية بعنوان "**ندوة متون**" تقام بعد صدور كل عددين لتنشر بعد ذلك مباشرة في عدد خاص.

ثالثا: الدعوة إلى المساهمة في استحداث الأبواب (الأركان) التالية :

- **قراءات أو مراجعات:** (كتب أو رسائل جامعية).
- **متابعات :** (ندوات، مؤتمرات، ملتقيات، نشاطات ثقافية، إصدارات علمية... الخ)
- **حوارات:** (مع مفكرين، أدباء، نقاد، باحثين، مؤرخين...الخ).

هذا، و نحن نرحب بكل مقترح يسهم في تطوير المجلة.

وتقبلوا فائق التقدير والاحترام

رئيس التحرير محمد حفيان

إشكالية قراءة التراث الشعري عند مصطفى ناصف المنهج المصطلح الإجراء

رشيد بلعيفة
كلية الآداب واللغات
جامعة عباس لغرور، خنشلة، الجزائر

الملخص:
تندرج قراءة الدكتور مصطفى ناصف للتراث الشعري العربي ضمن المقاربات الحديثة، التي تستنطق النص الشعري داخليا باعتباره بنية مغلقة، ولتبحث في كيفيات الصياغة وفاعلية التصوير، التي تنهض بها القصيدة العربية القديمة. وهو إذ يمتح آليات قراءته من الموروث النقدي والبلاغي العربي، فهو في الوقت نفسه يستلهم الوافد من الثقافة الغربية في مجال النقد، لاسيما النقد البنيوي والنقد الأسطوري. ليلج مناطق معتمة في النص الشعري لم تتجه العناية إليها من قبل.

أحاول في هذه المحاضرة أن أرصد مقومات العملية النقدية عند مصطفى ناصف من خلال آليتي التفسير والتأويل التي شكّلت معالم الطريق في التجربة النقدية عند الرجل، وأبحث في كيفيات التشكيل الفني التي اضطلعت بها قراءاته مثل تأويلاته للتوظيف الرمزي، وفاعلية التصوير، وعناصر الخيال، وكيفية التوليف بين الأساليب، وأخيرا طبيعة اللغة النقدية ومصطلحاتها.

1) تقديم

تعتبر إشكالية تلقي المنهج النقدي من أهم الإشكاليات المعرفية، إن لم تكن أهمها، ذلك أن المنهج هو المفتاح الإجرائي الذي بوساطته تفتح مغاليق النصوص، وتنزع أردية التدثر عن المعاني المكتنزة داخل هذه النصوص، وتتوقف فاعلية الإجراءات النقدية على حسن توظيفها وتمثلها، وحسن استثمارها من قبل الباحث أو الناقد، الأمر الذي تنسحب عنه نتائج تكون قمينة بالاحتفاء والتبجيل، وتجعل من النص الأدبي كنزا مشعا بمختلف الدلالات والمعاني. إلا أن المعضلة الحقيقية التي وقع فيها النقد العربي الحديث، هي مدى الإفادة من مناهج البحث الغربية، التي تم استقبالها في بيئة النقد العربي، وفي كثير من الأحيان يتم الخلط بين التطبيق الآلي الصنمي لآليات المناهج وبين سوء

الإبداعية، ولا مناص لأي باحث من الاحتكام لآليات منهج معين، بغية الوصول إلى كشف الحقيقة/المعنى/الظاهرة المنطوية في شكل نص أو إبداع والمنهج بهذا الطرح "يتعدد بتعدّد أنماط المعرفة، وأنّه يلحق بها ولا يسبقها، وأنه تبعا لذلك معرض للتطور والتجدّد والنسبية في كل ذلك، وأنه بهذا لا يقبل الوصف بالشمولية والإطلاق، ولا يحتمل أن يفرض أو يعمم أو يلصق بأي مجال معرفي – كيفما كان – ينقل إليه أو يُتبنّى فيه"[1].

تأسيسا على هذا، لا يعتبر المنهج منبتّ الصلة بالحاضنة الفلسفية الحاملة له، ولا يمكن عزله عن الحقل المعرفي الذي أنتج فيه، ولا عن خلفياته الفكرية ومرجعياته الفلسفية التي عملت على بلورته ونضجه، إذ "يمكن النظر في علم المناهج بصفته نظرية عامة شاملة للمناهج المفردة، أي المناهج الموظفة والمستثمرة في مختلف العلوم، وحقول المعرفة ... وترتيبا على ذلك يفضي البحث في المنهج إلى مجال فلسفة العلوم أونظرية المعرفة أو ما يمكن تسميته اختصارا : الإبستمولوجيا، وهو ما يتولّد عنه خطاب نظري من درجة ثانية يصطلح عليه بالخطاب النظري الواصف أو ما بعد النظري"[2].

إنّ محاولة تأصيل مناهج البحث والدراسة الأدبية هي ما يرومه عدد غير قليل من نقادنا المحدثين، وعملية التأصيل في حقيقتها هي البحث عن أصل لهذه المناهج في التراث النقدي والبلاغي العربي، على اعتبار أن الموروث النقدي حافل بالكثير من اصطلاحات العلوم والفنون، غير أن الأمر لا يمكن التسليم به بهذه البساطة، فالكثير من القضايا النقدية الحديثة والمعاصرة لم تجد ما يماثلها على الصعيد الفكري والفلسفي تراثيا، والكثير من المقولات البلاغية والنقدية القديمة أثبتت عقمها، وعدم جدواها على الساحة النقدية المعاصرة، ما أدى إلى التوجه رأسا صوب الحضارة الغربية في محاولة لاستثمارها والإفادة منها، يقول محمد برّادة : " معظم نقادنا منذ حسين المرصفي قد اتجهوا صوب المستودع الأدبي الأوربي (= الغربي)، بحثا عن أدوات التحليل والتفسير، حتى عندما حاولوا إعادة تقييم روائع التراث العربي، وهذا ما ترك في نفوسنا الانطباع عند قراءة العقاد والمازني وطه حسين وهيكل ... بأنهم يجهدون في إبراز قيمة التراث عن طريق إظهار

---

[1] عباس الجراري : خطاب المنهج، منشورات النادي الجراري 8، ط2، 1995، ص : 14.
[2] عبد الجليل بن محمد الأزدي : أسئلة المنهج في النقد العربي الحديث، المديرية الجهوية لوزارة الثقافة، مراكش، ط1، 2009، ص : 62.

إمكانية تطبيق المناهج الغربية على جوانبه الهامة، حتى لا يكون مختلفا في شيء عن التراثات الأدبية للأمم المتقدمة"[1] .

واستتباعا لما تمّ تقديمه حول العلاقة بين النقد العربي الحديث والنقد الغربي، وما نجم عن عمليات المثاقفة التي لا غنى للنقد العربي عنها، وعمليات التلاقح التي تمت بين التيارين العربي والغربي، فما من شكّ في أنّ هذه العلاقة منذ مرحلة البدايات، أو بداية الاتصال بالثقافة الغربية كانت علاقة الأستاذ بالتلميذ، أو التابع بالمتبوع، والإقرار بذلك يدخل في صميم العملية النقدية والحضارية التي من شأنها أن تدفع بالتيارات النقدية والأدبية إلى مزيد من التقدم على الصعيد المعرفي، ولا نغالي في الاعتراف بأن مرحلة النقل والاستنساخ والإسقاط مثّلت مرحلة قاتمة في تاريخ النقد العربي الحديث، ذلك أن كثيرا من النقاد العرب سار في اتجاه الأخذ من الغرب دون وعي بمختلف المرجعيات والخلفيات التي تحتكم إليها هذه المناهج، إنما حصلت عملية تدافع نحو المنتوج الغربي، ومحاولة محاكاته باعتباره المثال والنموذج والمركز، يقول نبيل سليمان مبرزا عملية التدافع الحاصلة لاستثمار الوافد الغربي، فالناقد العربي " يستورد من الآخر ما هو جاهز استيرادا شرعيا أو تهريبا يحاول التوليف مع مقتضيات الواقع الفكري والنقدي والأدبي، تتصاغر ذاته أمام الآخر الكلي ذي الجاذبية والتفوق"[2].

إلا أنّ تلك المنجزات الغربية على صعيد النظرية والمنهج والإجراء والرؤية، تجعل من عملية الأخذ والتمثل حقا لا بدّ من استثماره، ومحاولة مزجه بما للذات العربية من أصول تراثية، بغية الخروج من العملية النقدية بطائل، فعملية التثاقف والتلاقح هي من يعرف الذات على مثالبها ومحامدها، يقول فؤاد أبو منصور بشيء من الأريحية واليقين : " الغرب مرآة تساعدنا على رؤية أنفسنا في السلم الحضاري، وتحدد لنا على أية درجة نقف، وكيف سنتوجه، وأية أدوات نستعمل لاستكمال مشروع المعاصرة"[3].

---

[1] محمد برادة : محمد مندور وتنظير النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1985، ص : 05.

[2] نبيل سليمان : مساهمة في نقد النقد الأدبي، دار الطليعة للنشر، بيروت، ط1، 1983، ص: 48.

[3] فؤاد أبومنصور : النقد البنيوي الحديث بين أوربا ولبنان – نصوص – جماليات – تطلعات، دار الجيل بيروت، ط1، 1985، ص : 22.

والواقع أن العلاقة مع الآخر الغربي على صعيد إنتاج المعرفة إنما تجد مسارها الصحيح عند بعض النقاد فيما سمي بـــ"المقارنة"، أي مقارنة منجزات الغربي بما لدى الذات على الصعيد التراثي، عندما تتكفئ هذه الذات إلى ماضيها علّها تجد فيه ما يثبت حضورها على الصعيد المعرفي في مجابهة هذا الآخر الغربي الذي أعطى لنفسه مركزية تامة، ورمى غيره إلى مدارات الهامش، والحال أن عملية المقارنة في مثل هذه الأمور لا تستقيم أبدا، نظرا لحجم الفوارق والتباينات الحاصلة على عدد غير يسير من الحقول المعرفية، إلا إذا رمنا التبسيط والاختزال والتجديف، فإننا نقرّ بمثل هذه المقاربات، " إنّ الانخراط تحت لواء المقارنة لمراقبة التأثيرات والتأثرات، وضبط درجات تمثل النقاد العرب للمناهج الغربية، لم ينتج سوى مجموعة من المقايسات الشكلية المجرّدة التي تحاكم الممارسات النقدية العربية بمنطق "أستاذي"، يوزع بأقساط غير متساوية نياشين الفهم وعلامات التمثل وفق معيار الاقتراب من / الابتعاد عن المثال النموذج"[1].

إن عملية الاحتذاء والمقايسة هي التي أسهمت في وقت ما في صياغة متطلبات المرحلة النقدية العربية، وعجلت في ذات الوقت بإصدار عدد لا بأس به من المدونات النقدية راعى فيها أصحابها تلك الخصوصية الذاتية التي بلا شكّ تختلف عن المظان الأم لتلك الأعمال. وانطلاقا من هذا، بات الناقد العربي مسهما ولو بالقسط اليسير في صياغة الوعي النقدي للذات العربية، ومسهما كذلك في بلورة العديد من وجهات النظر الخاصة به وبمشاريعه النقدية. يقول الناقد توفيق الزيدي :" ظاهرة التصرف في المناهج واضحة، فلا نجد اتباعا كليا لتلك المناهج، وإنما استلهم نقادنا مبادئها العامة كوجوب استنطاق النص، والانطلاق من مبناه للوصول إلى معناه، أو تفكيك النص ثم تركيبه، أو استغلال جهاز التواصل بوظائفه الست ... ولعل هذه الظاهرة تجعل نقدنا اللساني يتسم بالسطحية"[2].

ودون موارية، اتسمت المرحلة النقدية العربية الحديث بنوع من الاستلاب، مارسه الخطاب الغربي على الذات العربية، واقتحمها مفككا أسسها الإيديولوجية والمعرفية، معرضا هذه الذات لنوع من التشظي الذي أسهم فيما بعد في اغتراب الذات عن هموم عصرها ومجتمعها،

---

[1] عبد الجليل بن محمد الأزدي : أسئلة المنهج في النقد العربي الحديث، ص : 82.
[2] توفيق الزيدي : أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجه، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ط1، 1984، ص: 157.

ودون وعي منها بخطورة الأزمة تلاشت مقومات هذه الذات وأصبحت معول هدم لانتمائها الحضاري الذي كان بالإمكان أن تكون لبنة بناء في صرح هذا المجتمع، ودون أن نلقي باللائمة على الحضارة الغربية وإفرازاتها يجب أن نقف موقف نقد لهذه الذات، وكيف استلهمت هذه الحضارة، وكيف نمت في أحضانها، وكيف أقصت كل اعتبار حضاري للخصوصية العربية ؟.

يكتب إدوارد سعيد معلقا على مثل هذا النقد أو الجلد الذاتي قائلا :" يساورني الانطباع بأننا في العالم العربي نقوم بالنسخ المباشر، ما إن يقرأ الواحد منا كتابا من تأليف فوكو أو غرامشي حتى يرغب في التحول إلى غرامشاوي أو فوكوي، لا توجد محاولة لتحويل تلك الأفكار إلى شيء ذي صلة بالعالم العربي، نحن ما نزال تحت تأثير الغرب من موقع اعتبرته على الدوام دونيا وتتلمذيا، تأمل العدد الكبير من الأفراد في شمال إفريقيا في المستعمرات الفرنسية السابقة ممن يكتبون وكأنهم تلاميذ فوكو أو ديريدا أو تودوروف، إنها نوع من فنطازيا التكرار التي أجدها مضحكة في معظم الحالات، والقسط الأهم راجع في نظري، وهذا مجرد انطباع، إلى فهم ناقص لحقيقة الغرب، أعتقد أننا لم ننل قسطا بعد من سيرورة التنوير والتحرير بالمعنى الفكري، وأعتقد أن اللوم يقع على المثقفين، إذ ليس بوسعنا أن ننحو باللائمة على الامبريالية والصهيونية"[1].

انطلاقا من هذا الطرح في إبراز معضلة التلقي العربي لمناهج النقد الغربية، واستثمارا لآليات هذه المناهج في عمليات النبش عن أصول التراث الشعري العربي، تسعى هذه المحاضرة لمحاولة التعرف على الإجراءات القرائية المعتمدة من قبل الدكتور مصطفى ناصف، وإبراز مدى فاعليتها في عملية القراءة والحفر، وتحسس مفاصل التواشج والتضام التي حفلت بها هذه القراءة، والنتائج التي توصلت إليها. فالموروث الشعري الجاهلي يمثل مرحلة البدايات بالنسبة للشعر العربي على مرّ العصور، وهو الأنموذج الأعلى الذي احتذى كلّ الشعراء حذو سابقيهم في نظم القصيد، لأن البنية العقلية للإنسان الجاهلي عامة، والشاعر بالخصوص، إنما تشكلت في بيت الشعر، وكانت بمثابة مرحلة الطفولة بالنسبة للشعر العربي كافة، غير أن هذا

---

[1] ميري محمود : أسئلة النقد العربي الحديث، مجلة علامات، ع7، 1997، ص 125، نقلا عن : عبد الجليل بن محمد الأسدي : أسئلة المنهج، ص : 114-115.

الموروث الحضاري لم يدرس ويقرأ على الطريقة النقدية المثلى، إنما كانت جلّ الدراسات التي انبرت له سطحية لا عمق فيها، وتعتمد في جملة ما تعتمد على الملاحظة العابرة، والتفسير اللغوي الذي يقف عند حدود الجملة لقياس الشاهد وتفسير الوحدات اللغوية تفسيرا لا حركية فيه، الأمر الذي حدا بجملة من النقاد المحدثين إلى إعادة قراءة هذا الموروث قراءة واعية هادفة إلى سبر أغواره، وفكّ شفراته، واستخراج مكنونه، وإنطاقه بما سكتت عنه مدونات النقد العربي القديم، " ومن أسباب دعوة هؤلاء النقاد إلى إعادة قراءة الشعر الجاهلي هو قصور النقد القديم عن درسه، وكأن إحساس النقاد القدامى لصفاء هذا الشعر ونقائه، وبعد قائليه عن المؤثرات الوافدة هو الذي صرفهم عن دخول عوالمه وحال بينهم وبين فتح مغاليقه، فظلت القصيدة القديمة مجهولة، أو شبه مجهولة، لم تسلم جميع أسرارها ولم تكشف عن كل ذخائرها الشعورية والبيانية"[1].

انطلاقا مما تمّ طرحه، ترتكز قراءة مصطفى ناصف للتراث الشعري الجاهلي من دافع النزوع نحو القراءة المثلى لمختلف المتون الشعرية، بغية الوقوف عند الدلالات الثانية التي بقيت عصية في الفهم على الكثير من النقاد والباحثين، الذين اكتفى بعضهم بالدلالات الظاهرة على مستوى البنيات السطحية للخطابات الشعرية، متغافلين عن إبراز مناطق الفراغ ومساحات المسكوت عنه في هذه الخطابات، ويرجع ذلك ربما إلى قصور في أدوات التحليل وآلياته، أو اكتفاءً بما تمّ التوصل إليه من نتائج سالفة جعلت من مرحلة التجاوز أمرا عصيا على ذلك، فانبرى مصطفى ناصف من خلال قراءاته منقبا ومحلّلا ومفسّرا ومؤوّلا لمختلف الظواهر التي شكّلت العمود الفقري لمختلف الخطابات الشعرية القديمة بهدف إعادة بعث الماضي في الحاضر، منطلقا من فرضية أساسية تنص على أنّ الأدب العربي قبل الإسلام لم يقرأ قراءة حسنة، كما أثبت ذلك "طه حسين" في غير موضع من أعماله.

ولعل من الأسباب التي تقف وراء هذه القراءة القاصرة هو جملة موانع نفسية وعقلية حالت بيننا وبين عملية الفهم السليم لشتى المظاهر والظواهر الأدبية، ولعل ما ينعاه ناصف على جمهور النقاد

---

[1] نعمة رحيم العزاوي : فصول في اللغة والنقد، المكتبة العصرية بغداد، ط1، 2004، ص : 221.

المحدثين هو اتهامهم ضمنا بالقصور النقدي أمام هذه النصوص، وعدم الاجتهاد في طرقها وتحليلها، إنما الاكتفاء بما تعوّد عليه الأسلاف من قبل.

تتألف نظرة مصطفى ناصف للشعر الجاهلي من مزيج متجانس حينا ومتباين حينا آخر من القراءات النقدية التي صاغت الفكر النقدي العربي الحديث، وعملت على ضخ منظومة فكرية كبيرة، عملت على إيضاح رؤيته للشعر الجاهلي منذ مرحلة البدايات الأولى للكتابة النقدية عنده، ذلك أن قراءته استمت بشيء غير يسير من العمق في التحليل، وارتياد مناطق قصية في القصيدة العربية القديمة، لم تحظ بالعناية من قبل في الدراسات النقدية، سواء القديمة أم الحديثة، فالشعر الجاهلي لم يكن يمثل لناصف لحظات عابرة مرّت على خريطة الشعر العربي، إنما هو" حقبة مهمة في حياة الشعر العربي، ومعنى ذلك أن الشعر العربي نشأ من الشعر الجاهلي، ثم نمت الشجرة وترعرعت ولكن جذورها ظلت ثابتة في ذلك الشعر"[1]. ويضيف قائلا :" إن أوائل الشعر العربي شكّلت أواخره، وأن الجذور هي التي أنبتت الفروع العالية في السماء، وأن الشعر العربي مدين بجوهره للشعر الجاهلي "[2].

وفي ربطه الشعر العربي بجذوره الجاهلية يكتب ناصف حول مرحلة الطفولة قائلا :" الطفولة تكون عادة ضئيلة التجارب، قليلة الخبرة، لا عهد لها بالتأمل في الحياة ولا التفلسف، ولا تعرف البحث عن حقائق الحياة المجردة، ولا تكاد تتجاوز الأشياء القريبة، ولكن الشعر الجاهلي ليس طفلا بهذا المعنى "[3].

ومن الدوافع الرئيسة التي جعلت ناصف يرتاد هذا النوع من القراءة هو ملاحظته ذلك التشابه الكبير بين مختلف القراءات، سواء كانت قديمة أم حديثة، دون أن تكون عميقة في منحاها النقدي، الشيء الذي حدا به إلى محاولة التجاوز المعرفي لما هو كائن، وتطلعه لما يجب أن يكون، لأن القراءة في تعريفاتها المتداولة عنده هي " فنّ كسر الحواجز، التي تفصل بيننا وبين قصيدة من القصائد"[4].

---

[1] مصطفى ناصف : قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1981، ص : 41.
[2] نفسه: ص : 42.
[3] نفسه: ص : 42.
[4] نفسه: ص: 06.

والحق، أنّ ناصف تأثر في اختيار منهجه وقراءته بأستاذه طه حسين من قبل، لكن توظيف هذه الآلية يختلف بين الرجلين، فإذا كان شكّ طه حسين منصبًا حول الماهية ؛ أي وجود الشعر في حدّ ذاته، فإن شك ناصف انصب حول الكيفية التي قرئ بها هذا التراث الشعري، يقول طه حسين في معرض حديثه عن ماهية الشعر الجاهلي :"... إنّي شككت في قيمة الشعر الجاهلي وألححت في الشك ... ذلك أن الكثرة المطلقة مما نسميه شعرا جاهليا ليست من الجاهلية في شيء، وإنما هي منتحلة مختلقة بعد ظهور الإسلام ... وأكاد لا أشك في أنّ ما بقي من الشعر الجاهلي الصحيح قليل جدا لا يمثل شيئا ولا يدلّ على شيء "[1].

تنهض قراءة مصطفى ناصف للتراث الشعري الجاهلي من فرضية مفادها أن جلّ النصوص الشعرية الجاهلية تعتمد في تشكيلها على الرمز والأسطورة في عملية التصوير الفني والجمالي، وأنه يجب على الناقد الحصيف أن يتسلّح برؤية خاصة تمكّنه من اكتناه هذه الرموز وفكّ طلاسمها وشفراتها، قصد الوصول بها إلى مساحات رحبة من الدلالات والمعاني، ولبلوغ هذه الغايات يحتكم الناقد إلى توظيف آليتي التفسير والتأويل اللتين تمكّنان حسبه من تقليب النص الشعري على أكثر من وجه، والخروج من العملية القرائية بطائل ذي بال، والتأويل عند ناصف " فنّ صعب المراس، يستنطق فيه النص من أجل خدمة اتجاهات لها أهمية في سير الحياة والفكر، التأويل رؤية للنص من باطنه، وهو يتميز من التناول الخارجي الذي يهتم بالعلاقة بين النص والبيئة، أو النص والمؤثرات، إذا اهتم الباحث بالمؤثرات ضاع النص"[2].

يستثمر ناصف المرتكزات النفسية التي أتى بها منهج التحليل النفسي ويقرّ بشرعية طروحاتها في الحقل المعرفي النقدي العربي، إلا أنه لم يرجع تفسيراتها وتأويلاته للنصوص على أساس اللاشعور الفردي للظاهرة، ونفى ما دعا إليه التحليل النفسي من إرجاع كلّ الظواهر الإبداعية إلى عقد جنسية ترجع إلى مراحل الطفولة البدائية أو الأولى، إنما تناول طروحات التحليل النفسي من منطلق أن العمل

---

[1] طه حسين: في الشعر الجاهلي، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، د.ط.، 1997، ص: 17.
[2] مصطفى ناصف : محاورات مع النثر العربي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير 1997، ص : 07.

الأدبي في استقلالية تامة عن صاحبه ؛ لأنه " يتحرك حركة ذاتية خاصة به، لا حركة تابعة لذات صاحبه"[1].

يضيف ناصف إلى هذا، أنّ العمل الأدبي ليس وثيقة لإثبات هوية صاحبه، وأنه بمعزل عنها، وربما قد يخالف النص شخصية مبدعه، " إذا كان العمل الفني جميلا، فليس معنى ذلك أن وراءه نفسا جميلة، فإن تاريخ حياة العظماء كثيرا ما يظهرهم صغارا من الناحية الخلقية في خارج مؤلفاتهم الممتازة التي تتسم وحدها بالعظمة"[2].

إنّ ما يريد ناصف إثباته هو أن العمل الأدبي كيان قائم بذاته، مستقل استقلالا تاما عن صاحبه، ونحن في قراءتنا لهذه النصوص إنما نعزلها عن كل ما يحيط بها من سياقات قد تتدخل أثناء عملية القراءة، ومن جملة هذه السياقات الحالة النفسية للمبدع وقت إنتاجه لنصه، غير أن ما فات ناصف التنبيه له هو ذلك الجانب الإيديولوجي أو العقدي الذي يحمله النص من خلال اللغة. وقضية الاحتكام إلى النص وحده قضية أثارها المدّ البنيوي في مجال النقد، وما مهّد فيما بعد لظهور مقولة "موت المؤلف" وتقاطعها مع فكرة" النسق المغلق" أثناء عملية القراءة، غير أن الذي نحن بصدد إبرازه في الخطاب النقدي عند مصطفى ناصف هو محاولته الاحتكام إلى النصوص ومعاينتها معاينة رمزية أسطورية، باعتبار النص عالم مكتف بذاته، وأنه حمّال أوجه، وأنه لا يجب " على الناقد البحث عن دلالات للعمل الأدبي خارج إطاره اللغوي، إنّ مهمة الناقد هي تحليل النص بتشكيلاته اللغوية وبيان عناصرها ودلالاتها الجمالية، وإلى جانب التحليل يجب عليه مقارنة النص بنصوص أخرى تنتمي لنفس النوع الأدبي بهدف الكشف عن دور هذا النص في دائرة التقاليد الأدبية. ماذا أخذ منها وماذا أضاف إليها"[3].

3) آليات قراءة التراث الشعري

إن المنهج النقدي الذي ارتضاه مصطفى ناصف لقراءته النص الشعري هو التوظيف الرمزي والأسطوري للصورة، وأنّه اتبع في جملة مدوناته النقدية العديدة معضلة المعنى وإشكالياته، سواء في

---

[1] مصطفى ناصف : دراسة الأدب العربي، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1983، ص : 145.

[2] نفسه: ص : 144.

[3] نصر حامد أبوزيد : إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط08، 2008، ص : 19.

البحث عنه في النصوص الشعرية أوفي المصنفات البلاغية القديمة، أو حتى في استثماره الوافد من النقد الغربي، فقد شغلت قضية المعنى الجزء الرئيس في جميع متون الرجل النقدية.

تسعى هذه المحاضرة لتكشف آليات المقاربة النقدية عند ناصف، ولماذا ركز على الشعر الجاهلي دون سواه؟ وماهي آليات القراءة المعتمدة؟ وهل تنسحب النتائج المتحصل عليها على باقي الشعر العربي الجاهلي؟ أم أن لكل قصيدة خصوصياتها ؟ .

ينطلق مصطفى ناصف في قراءة الشعر العربي القديم من إرجاعه إلى مظانه الأسطورية التي ترجع إلى اللاشعور الجمعي، كما بلوره "كارل يونغ"، وأن الكثير من الظواهر المعتمدة في متون القصائد الجاهلية إنما ترجع في حقيقتها إلى رموز أسطورية موغلة في القدم، يتم استحضارها بين حين وآخر من قبل الشعراء، ويؤكد ناصف أن الشعر العربي قبل الإسلام لا يعوّل في شرحه على الظروف الخاصة لشاعر من الشعراء، إنما " نحن بإزاء ضرب من الطقوس أو الشعائر التي يؤديها المجتمع أو تصدر عن عقل جماعي لا عن عقل فردي أو حالة ذاتية، والحق أن الشعر الجاهلي – كلّه – يوشك أن يكون على هذا النحو، بمعنى أنّ مراميه فوق ذوات الشعراء"[1].

لا يكاد ناصف يتجاوز هذه الإشكالية حتى يوضح إشكالية أخرى، وهي قضية التزام الشاعر الجاهلي بقضايا جماعته، وليس بقضاياه الفردية،" ... فالشاعر من حيث هو فنان يوشك أن يكون ملتزما، ويأتيه هذا الالتزام من ارتباط غامض بحاجات المجتمع العليا، وكل نابغة في العصر القديم يشعر أن المجتمع يوجه أفكاره إلى حيث يريد"[2]. لا يقرأ ناصف الشعر الجاهلي كظاهرة فردية تعاورت في إيجادها قوى شعرية ما، إنما مرجعها الأساس اللاشعور الجمعي، وهو في هذه القراءة يستعين بمفهوم اللاشعور الجمعي، وهو" ذلك الجزء من النفس الذي يدين في وجوده لعامل الوراثة النفسية وينشأ أساسا من الأنماط العليا Archétypes، وهي أشكال محددة في النفس موجودة وجودا قبليا، وكل شكل منها يحمل جزءا صغيرا من نفسية الإنسان، قدره، بقية أفراحه وأحزانه، تتكرر فينا كما وقعت في حياة أسلافنا، وحين يقع الموقف النمطي الأعلى ينتاب الفرد شعور بأنه في قبضة

---

[1] مصطفى ناصف : قراءة ثانية لشعرنا القديم، ص : 53.
[2] نفسه، ص : 53.

قوة خارقة، وفي هذه اللحظة لم يعد فردا، بل أصبح الجنس البشري كله، لأن صوت كل البشر يتردد فيه"[1].

تقوم تفسيرات مصطفى ناصف وتأويلاته للتراث الشعري، انطلاقا من كونه جملة من الرموز الأسطورية التي تعبر بصدق عن هموم المجتمع الجاهلي برمته، فأثناء معاينته لظاهرة الطلل في الشعر الجاهلي يذهب في تأويلها تأويلات بعيدة، حتى أنه يربطها برمز البعث والحياة، وأن الشاعر الجاهلي ملتزم بهذه التقاليد التي توطد علاقة المجتمع به، فالطلل حسبه هو" الماضي الذي ذهب ولن يعود، هو قطعة من الحياة التي تهرم كلما مضى منها جزء، الطلل المرئي رمز للماضي الذي يستطاع ردّه"[2]. وعند بكاء الشاعر الطلل، فإنه " يبكي ما ضاع من الحياة أو العمر"[3].

يدلل ناصف لقراءته بأن بكاء الشاعر على الطلل " يشبه صلاة جماعية على الماضي الميت وإذا تأملت تفصيلات الطلل الرمزي الذي يهز إحساس الشاعر بفعل الموت المستمر في حياته وجدت كلّ شيء يعين على هذا الفرض"[4].

إن ما يحاول الناقد إثباته من خلال هذه النصوص التي تقف شاهدا على القراءة الرمزية للطلل، هو أنه لازمة كل نص شعري مؤثر، وهو عادة مقدسة ترتفع بالقصيدة إلى رتبة سامقة في سماء الأسطورة المقدسة، والأمر الآخر أن الطلل هو الرمز الأول للحياة في القصيدة الجاهلية على اعتبار أن الرمز الثاني هو الناقة في كل القصائد الجاهلية، " إن هذا الفهم المستند إلى وجودية هيدجر يفضي إلى أن الشاعر الجاهلي يستشعر أن وجوده هو وجود نحو الموت، ولأن الشاعر الجاهلي متمسك بالحياة فإنه يصر على بعثها في هذا الميت (أعني الطلل)، وهنا تتحول مفردات الطلل ولغته إلى تعويذة سحرية تعيد الحياة إلى الطلل"[5].

---

[1] عبد الفتاح محمد أحمد : المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي، دار المناهل، بيروت، ط1، 1987، ص: 126.

[2] مصطفى ناصف : دراسة الأدب العربي، ص : 236.

[3] نفسه، ص : 237.

[4] نفسه: ص : 239.

[5] عاطف أحمد الدرابسة : قراءة النص الشعري الجاهلي في ضوء نظرية التأويل، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006، ص : 177.

يستند ناصف في قراءته لإشكالية الطلل على موروث نقدي وبلاغي عريق، أسهم فيه تضلع الرجل في هذه العلوم اللغوية والبلاغية، ليصل إلى أن مفهوم " البكاء على الطلل ليس حزنا سلبيا عاجزا، وليس هزيمة أمام الموت ؛ لأن الحياة – من وجهة نظره – تظل مستمرة، ووظيفة عقل الشاعر في هذه الحال وظيفة إيجابية، فهي دعوة غامضة إلى تغيير النظر إلى الماضي أو دعوة إلى مبدأ استمرار الحياة من حيث هي نشاط وفاعلية" [1].

ترتبط رمزية الطلل بقضية أخرى لا تقل أهمية عنها، وهي قضية الوشم والكتابة في النصوص الشعرية الجاهلية، وارتباط الوشم بالطلل قديم قدم النصوص، لكن رمزية هذه الصورة هي ما أثاره الناقد من تأويل لها، باعتبار الأطلال " أشبهت الوشم والكتابة، والكتابة هي ذاكرة الإنسان وماضيه، فهي مجددة لا تزول وكذلك الماضي لا يزول، الماضي ذو طابع متناقض يقف الإنسان أمامه عاجزا، وبعبارة أخرى يبدو معاكسا لشعوره لحياته من حيث هو فرد، ولكنه من جهة أخرى ذو طابع خلاق ... ومن ثمّ بدا الفناء السطحي أو الفردي جانبا جوهريا من عملية تطور إبداعي، ولا شيء أدلّ على هذا الإبداع من فكرة الكتابة والوشم، فكلاهما تعبير عن حفظ الحياة وإحالة أحداثها المتغيرة على الدوام إلى رموز باقية" [2].

إن المعضلة الأساسية التي وقف الشاعر الجاهلي إزاءها هي معضلة الزمن، وما ينطوي عليه من تجريد لفكرة الفناء والاندثار، متمثلة في الطلل والوشم والكتابة، يكتب الدرابسة معلقا حول عملية الفهم لهذه الإشكالية قائلا :" فهم مصطفى ناصف الرمز الكامن في الوشم والكتابة، فالشاعر الجاهلي وفق مبدأ الديمومة يكامل بين الماضي والمستقبل ليبعث الحياة في الأشياء والكائنات الميتة ومن هنا يصبح الزمان عامل دفع حيوي لا عامل تصدّع وانهدام"[3].

لقد جعل الشاعر الجاهلي لنفسه معادلات موضوعية – بتعبير إليوت – يحتمي بها من هذه النوائب والنوازل، ولعل صورة الناقة هي من مثلت هذه الرمزية بامتياز، إذ لا تقترن صورة الناقة بهذه الرمزية فحسب، بل تتعداها لصورتها الآمنة التي ترتقي إلى حدّ التقديس، كما

---

[1] مصطفى ناصف : قراءة ثانية لشعرنا القديم، ص : 59-60.

[2] نفسه، ص : 60.

[3] عاطف أحمد الدرابسة : قراءة النص الشعري الجاهلي، ص : 179.

ذهب ناصف، وهي "رمز لعدّة مفهومات، لفناء القوي الشاب، والانتصار على الصعوبات، والحياة الفاضلة، والمثل الذي تهون في سبيله التضحية والفداء، ولكن أقصى ما يقنع به العقل المشغوف بملاحظة الأسباب أن الناقة صديق رفيق، وليست مجرد أداة للرحلة والاتصال ... هذا طرفة يرى في الناقة الموت الذي يقترن ببلوغ الحياة أقصى نضوجها"[1].

تحتكم تفسيرات ناصف لمختلف النصوص الشعرية الجاهلية إلى مبدأ البحث عن المغيب في النص، والنبش عن مختلف المعاني المختفية، والمتدثرة بنوع من الغموض والإلغاز، بغية السير قدما بالعملية النقدية والتأويلية خصوصا إلى مناطق قصية من البحث، ولا ترتبط صورة الناقة بهذه القدسية فحسب، فهي كذلك رمز للتعبير عن قوى الشر، كما نجد ذلك في قراءته لرمز الناقة في أبيات زهير، يعلّق ناصف قائلا :" أصبحت الناقة حيوانا أسطوريا يلجأ إليه الشعراء في التعبير عن قوى الشر المسلطة على الإنسان أو قوى الموت"[2].

إن هذه المكانة التي تتمتع بها الناقة في الشعر الجاهلي على مستوى التجريد وعلى مستوى الواقع المعيش هي مكانة مرموقة وهامة في الوقت نفسه، وشكلت مادة ثرية على مستوى التداول بين الشعراء، والصورة الأساسية التي تبوأتها الناقة – على الرغم من اختلاف الصورة – هي رمزيتها على القوة والمنعة، ولأنها شكلت نسبة كبيرة من الموضوعات الشعرية المطروقة خاصة في ما صورها به طرفة في معلقته، فالناقة في هذه القصيدة تبدو" بفضل ما أتيح لها كالملجأ الأمين الذي يقي صاحبه من كثير، لأن هناك صورا تعبر عن الوقاية والاحتماء مثل الباب المنيف الممرّد وبيوت الوحش في أصول الشجر وقنطرة الرومي، وجناحي النسر، والسقف المسند، والظهر العالي ... كل هذه الصور متآلفة، وقد توحي بأن طرفة يعاني من الخوف وأن الخوف ينتهي إلى طلب الاحتماء والاختباء، وهذه القوى الكثيرة المجتمعة في الناقة تعني أن منطق الشاعر هو أنه لا ملجأ من الناقة إلا إليها"[3].

---

[1] نفسه، ص : 202.
[2] مصطفى ناصف : دراسة الأدب العربي، ص : 251.
[3] عبد الفتاح محمد أحمد : المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي، ص : 133-134.

تتوالى التأويلات النقدية من قبل الناقد مصطفى ناصف ليتناول جملة من القضايا الأساسية التي شكلت الإطار العام لنمو القصيدة الجاهلية، فبعد أن يرفد نظريته التأويلية بهذه الرموز الأسطورية التي ترجع في أصلها إلى أساطير بدائية قام الشاعر الجاهلي باستثمارها وتحويرها، ومن ثمّ توظيفها جماليا في شكل إبداعات خالدة لما انطوت عليه من جماليات رسّخت نظرة الإنسان الجاهلي إلى الحياة، والموت، إلى الأرض وإلى السماء، إلى الوجود وإلى الأزل.

يتناول الناقد رمزا آخر من رموز الشعر الجاهلي لا يقل أهمية من حيث التوظيف والتداول عن باقي الرموز الأخرى، ففي قراءته لرمزية العنب الذي توالى وصفه من قبل الشعراء في سياقات معينة وأوقات مختلفة، وما ينطوي عليه من دلالات خاصة بالمجالس الخمرية التي كانت تعقد في الجاهلية بين الشاعر ونفر من الندامى، ففي هذه الصورة رمزية معقدة حسب الناقد، إذ يريد "شارب الخمر أن يحقق أحلاما أو أفكارا أو رؤى لا يستطيع أن يتناولها بغير هذا الطريق، أي أن الخمر في نظر شاربها تعتبر وسيلة إلى ضرب من المعرفة التلقائية الغامضة لحقائق صعبة، حقائق الحياة والوجود"[1].

تعتبر الخمر بديلا هاما عن حالة الاضطراب الأنطولوجي التي يعانيها الإنسان الجاهلي، ومن خلالها يقوم الفرد بما يشبه التعويض النفسي عن حالة الحرمان المعيشة، وفي تأويل آخر لبيت من الشعر يقول صاحبه:

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى كعنقود ملاحية حين نوّرا

يتجه ناصف رأسا إلى استثمار الأسطورة باعتبارها المعين الأول لفهم كل هذه الرموز والصور، فيقول:" الأساطير الجاهلية تحدثنا أن العنب رمز لحلاوة الدنيا، فاختيار الملاحية أو العنب يؤدي أكثر من معنى فحلاوة الدنيا إذن مقصورة على الأرض، بل تتعداها إلى الثريا في السماء، من أجل ذلك يبدو الحسي الجامد ذا حظ من الحياة والنشاط، أضف إلى ذلك أن العنقود يرمز إلى الخصب والنمو والتوالد، والثريا إذن في هيئتها وتقاربها وضوئها قريبة في النفس من منظر الطفولة والأطفال" [2]، ثم يستدرك ناصف عمن يتصور اعتراضه

---

[1] مصطفى ناصف : دراسة الأدب العربي، ص : 291.
[2] نفسه، ص : 208.

من القراء بقوله:" وفي وسعك أن تقول إن الشاعر لم يقصد إلى هذا التكلّف، وفي وسعي أن أقول إن المقصد يشبه العنقاء كلاهما خرافة"[1].

إنّ هذه الرمزية الأسطورية التي طبعت القراءة النقدية عند ناصف، خاصة في مؤلفيه "قراءة ثانية لشعرنا القديم" و" دراسة الأدب العربي"، لم يحتف بها ناصف في مؤلف آخر وضعه هو الآخر لدراسة الشعر العربي القديم، وهو"صوت الشاعر القديم"، ففي مقدمة الكتاب يضع ناصف قارئه أمامه ويستحضره بقوله:" لقد قدمت تجربة سابقة في القراءة وأنا الآن أقدم تجربة مختلفة"[2]. مما يبين أن الشغل الشاغل للرجل هو إعادة قراءة الشعر العربي القديم قراءات عديدة، وأن هذه القراءة ستكون مغايرة من حيث المنهج والطرح النظري والتطبيقي عما سبقها من دراسات، الشيء الذي يعمق الفكرة أكثر هو اشتغال الناقد حول ما عرف في أبجديات النقد المعاصر بمنهج "الكلمات المفاتيح" Mots Clefs، يقول في ذلك:" إن الإقبال على طائفة من النصوص أكثر من مرة مشقة لا تخلو من المتعة، فالنصوص تتحدانا، وتظل تعلق بعقولنا، وكل طائفة من الأدوات تفتح معالم لا تستطيعها سواها، ولكن الأدوات لا تنبع من الخارج، وإنما تكشف من داخل النصوص، فالنصوص خالقة أدواتها، وحينما عاودت التأمل في الشعر القديم في أزمان متباعدة خيّل إلي أحيانا أن مشكلة هذا الشعر تتعلق ببعض الوجوه باستعمال طائفة من الكلمات الأساسية التي يسمونها أحيانا كثيرة باسم الكلمات المفاتيح"[3].

كانت كيفيات التناول قائمة حول الوصول إلى المعاني والدلالات انطلاقا من الكلمات المفاتيح التي تتشكل بها رمزية اللغة، وتنأى الدلالة عن أن تكون ظاهرة، وتمت معالجة الكثير من القضايا، لعل من أهمها "بنية القصيدة العربية" و" البحث عن وحدة الشعر " كذلك، والمؤلف في مجمله عبارة عن تساؤلات معرفية تحمل أبعادا أنطولوجية وجمالية يتم الإجابة عنها انطلاقا من هذه الرمزية السامية للغة من جهة، وللجانب الوجودي للإنسان من جهة أخرى، من أمثلتها : لماذا أعجب الشاعر القديم بوكنات الطير ؟ أليست الوكنات مرتبطة

---

[1] نفسه، ص : 209.

[2] مصطفى ناصف : صوت الشاعر القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992، ص : 05.

[3] نفسه: ص : 06.

بالظلمات؟ [1]، ومنها أيضا : لماذا لم يتمتع الشاعر القديم بتأمل حرية الحيوان؟ إنه على العكس يتمتع على الدوام بالتعرض لهذه الحرية [2].

لا يكاد ناصف يحيد عن معالجة القضايا الأساسية في كتابه هذا، لأنها تشكل استمرارية وصيرورة وجودية تناولها الناقد سابقا، لكن معالجته الحالية مختلفة بعض الشيء، خاصة في عدم إرجاعه هذا الشعر إلى أصول أسطورية، فالصحراء (الفلاة) مثلا في أبيات الأعشى في قوله :

وفلاة كأنها ظهر ترس ليس إلا الرجيع فيها علاق

"ليست أقلّ من مواجهة أعماق الوجود، أو أعماق الذات التي لا تتكشف أمام الشاعر فيما تسميه باسم تجربة المحبة، أعماق الذات موكولة إلى الفلاة، وقد يرى الشاعر ذاته مجدبة مقفرة لا تجد ما يداوي سأمها، وحينئذ يلجأ إلى الفلاة ... لأنه شديد الحاجة إلى الشعور بعالم ظاهره القسوة والاستغناء والاستعلاء على العاطفة المتغيرة"[3].

ويرجع ناصف فلسفة الكتاب "صوت الشاعر القديم" إلى تحسس مفاصل الاختلاف والائتلاف بين الشعراء، وأن عملية الإبداع لم تكن أبدا شخصية فردية، إنما كانت تجارب جماعية، يقول :" فالأعشى في الظاهر لا يقيم وزنا لحاجاته النفسية الدقيقة إلى هذه الفلاة والجرأة واقتحام المخاطر ليس أكثر من مداواة سأم عجيب ينتاب الشاعر الجاهلي كثيرا، ولا نقيم له ما يستأهله من عناية، ولم يكن زهير حين شكا السأم يعبر عن قضية شخصية كما يوهمنا ونتوهم معه، هذا السأم يصدر عن تجربة الكلل وتذكر الأحباب، وليس السأم في الحقيقة إلا شعورا بأن الذات لم تحقق بعد كل ما يمكنها، ولم تخرج بعد دفائنها المكنوزة، ولم تعثر بعد على ما يكافئ همومها المتفتحة، ومن أجل ذلك يلجأ إلى الفلاة"[4]

---

[1] ينظر : نفسه، ص : 09.
[2] نفسه، ص : 10.
[3] مصطفى ناصف: صوت الشاعر القديم، ص : 33.
[4] نفسه: ص : 33.

4) خاتمة :

إن ما يمكن أن نصل إليه في الختام هو الوقوف عند جملة من النتائج رصدتها هذه المحاضرة فأبرزت المطبات المعرفية التي وقع فيها ناصف عندما أرجع تفسيراته للشعر الجاهلي إلى أصول أسطورية وطقوس بدائية ترجع إلى الأصل البدائي للإنسان، وأنّه لم يرجع إلى الأساطير العربية الأصيلة التي شكلت المصدر الرئيس لانبجاس هذه الصور والطقوس، أضف إلى ذلك تلك الإسقاطات الانطباعية والتلفيقية التي وقع ضحيتها، لأنه سقط في فخ المقايسة والمطابقة بين ما هو موجود من نصوص إبداعية، وبين ارتباط اللاشعور الجمعي بالشعائر والأساطير، مما أوقع نتائجه في جانب كبير منها فريسة التهافت والاضطراب وحتى التناقض، ذلك أنه ينعى على الكثير من النقاد الانقياد وراء الذاتية والتأثرية المفرطة التي من شأنها أن تسيء إلى العمل من حيث تريد الإحسان إليه، إلا أنه يقع في المحظور نفسه، ولم يستطع بلورة نظرة خاصة تكون بمثابة الحصن الحصين من الوقوع في هذا القصور المعرفي وهذه المزالق النقدية.

إنّ ما قد حذّر منه ناصف من مغبة الوقوع في المحظور الانطباعي وقع فريسته دون أن يعي، فتفسيره الشعر العربي قبل الإسلام بأنه نمطي (تكراري)، ويرجع إلى أصول أسطورية مغروسة في اللاشعور الجمعي دون أن يحدد بدايات وأصول هذه الأساطير ولا أنماطها الميثودينية العليا، هو ما أوقعه في هذا الاضطراب المعرفي إن جاز التعبير. يعلق الدكتور عبد الفتاح محمد أحمد عن هذه القضية بقوله :" لا يشدّ أزر الدكتور مصطفى ناصف ويعضد ملاحظاته عن هذا الطابع الأسطوري أو تلك البقايا الطقوسية شيء سوى قراءاته التي لا تخلو من انطباعية تفتقر إلى التوثيق، وإلا فأين الأسطورة التي تمثل النمط الأعلى للفرس ؟ وأين الطقوس الجليلة التي تعبر عن قدسية الناقة ؟ وأين الأصول المقدسة لقصة عدوان الكلاب على الثور ؟ كل ذلك وغيره لم يضع الدكتور ناصف يده عليه، ولكنه اكتفى بالقول بالطبيعة اللاشعورية الجمعية لشعر ما قبل الإسلام"[1].

رغم ذلك تبقى قراءة مصطفى ناصف للتراث الشعري الجاهلي من أرقى القراءات وأكفئها، وأولاها بالعناية والتمحيص وتوظيف مقولات

نقد النقد للوصول ربما إلى نتائج تكون قمينة بهذا الإنجاز المعرفي والنقدي، ولا شكّ أن الرجل قد أفاد من جملة المناهج النقدية الحداثية وبخاصة مقولات المنهج الأسطوري في قراءة النص الشعري الجاهلي وأنه استثمرها بما يخدم الغرض العام للبحث، وأن استثماره جاء مغايرا للعديد من الباحثين والنقاد الذين اكتفوا بمماثلة الآخر، ولا يكادون يتجاوزونه، إن على المستوى النظري أو حتى الممارسي .

إن ما أضافه ناصف لقراءة التراث الشعري تجاوز به الكثير من التطبيقات العربية الحديثة التي تعسفت في الإمتياح من المستودع الغربي لاستنطاق المدونات القديمة، وحمّلت النص أكثر مما يحتمل كما هو الحال مع دراسات أسطورية حديثة، حاولت استثمار آليات المنهج الأسطوري في قراءة الشعر الجاهلي، فوقعت في مطب المماثلة والمقايسة والخلط المنهجي مما أدى إلى تهافت النتائج التي توصلت إليها في الكثير من الأحيان.*

بيبليوغرافيا البحث:

01- توفيق الزيدي : أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجه، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، ط1، 1984.

02- طه حسين : في الشعر الجاهلي، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، د.ط.، 1997.

03- سيد البحراوي : البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1993.

04- عباس الجراري : خطاب المنهج، منشورات النادي الجراري 8، ط2، 1995.

05- عبد الجليل بن محمد الأزدي : أسئلة المنهج في النقد العربي الحديث، المديرية الجهوية لوزارة الثقافة، مراكش، ط1، 2009.

06- عبد الفتاح محمد أحمد : المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي، دار المناهل، بيروت، ط1، 1987.

* نذكر من هذه المدونات على سبيل التمثيل لا الحصر : علي البطل : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس، بيروت، ط2 1981. ونصرت عبد الرحمن: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن، ط2، 1981. ومصطفى الشوري،: شعر الرثاء في العصر الجاهلي، الدار الجامعية، بيروت، 1983.

07- عاطف أحمد الدرابسة: قراءة النص الشعري الجاهلي في ضوء نظرية التأويل، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006.
08- محمد برادة: محمد مندور وتنظير النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، 1985.
09- مصطفى ناصف: قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس، بيروت، ط2، 1981.
10- مصطفى ناصف: محاورات مع النثر العربي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، فبراير 1997.
11- مصطفى ناصف: دراسة الأدب العربي، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1983.
12- مصطفى ناصف: صوت الشاعر القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992.
13- فؤاد أبومنصور: النقد البنيوي الحديث بين أوربا ولبنان – نصوص – جماليات – تطلعات، دار الجيل بيروت، ط1، 1985.
14- نبيل سليمان: مساهمة في نقد النقد الأدبي، دار الطليعة للنشر، بيروت، ط1، 1983.
15- نعمة رحيم العزاوي: فصول في اللغة والنقد، المكتبة العصرية بغداد، ط1، 2004.